

صحائف مطوية في السياسة العربية

محاضرة عن الاسلام^(١)

للاستاذ أحمد بك رمزي

في يوم من أيام شهر يناير سنة ١٩٣٦ ، وكنت أشغل وظيفة
تفصل مصر في مدينة القدس ، زارني وفد من هيئة جمعية الشبان
المسيحية ، وقدم إلي برنامجاً عن محاضرات الام ، وأشار الوفد
إلى دعوة حضرة الأستاذ أحمد أمين بك لافاء محاضرة عن
الاسلام في دار الجمعية .

وذكر لي أن العادة جرت عند تشريف أستاذ مصري ذي
مكانة خاصة ، أن يرأس الاجتماع قنصل مصر لتقديمه ،
ولذلك عرض الوفد أن يكون الاجتماع برئاسة ، فاذا قبلت هذا
وجهت الدعوة مع ذكر اسمي عليها ، وقد تمهلت في القبول؛ فلما
اس الوفد ترددي ، أطمئني على نماذج من بطاقات الدعوات
السابقة فقرأت عليها أسماء من تقدموني في هذا المنصب . هناك
أجد ما يدعو إلى رفض هذه الرئاسة ، وهي بطبيعتها شرفية أو قل

١ - ألفت في جمعية الشبان المسيحية بالقدس عام ١٩٣٦ حين كان
الكاتب القاضل قسلاً بمصر بـ فلسطين وشرق الأردن من ١٩٣٥ - ١٩٣٧ .

وخرجت من لدن صاحب الثراء المريض أجراً أذبال الخبية
والفشل وأحس من الفاقة والضياع .

وجذبتني الأمل إلى رفاق سيدي وإلى ذوي قرابته ، أستعينهم
واستعطفهم ، كل واحداً يشفع لي لديه فيخفف من حركه ويرد علي
معي ، ولكنني وجدت قلوباً صماء لائنين ، وعقولاً مغلقة لا تفتح ،
وأبواباً موصدة بأقفال من الكبرياء والترفع ، فرجعت إلى أهلي
أعمل في نفسي همين . هم التعلل وهم الجوع .

وانطوت الأيام تنضج قبحي وفي النفس أمل وفي البطن
شهوة ، فما راعني إلا أعمال صاحب المزبة يبكرون إلى حقل
- على حين غرة مني - يحمدون القمح ويحملونه إلى حيث يكون

ذات طابع صوري ، وليس فيها ما يدعو إلى تحضير كلمة مطولة ؛
وانما يقتصر التقديم على القاء عبارات معينة معروفة ، فوعدت
الوفد بتلبية دعوته وخرج من عندي وقد اقتنمت من جهتي بأن
السألة قد انتهت ولم يمد هناك ما يعبر العودة اليها .

ولكن في يوم الاثنين ٢٠ يناير سنة ١٩٣٦ وقد بدأت عملي
كالمادة ، وجدت على مكنتي عدة برقيات فيها ما يأتي :

« ترؤسكم جمعية الشبان المسيحية التبشيرية الاستعمارية ،
إساءة إلى عرب فلسطين ومسلميها ، الذين يرون في هذه الجمعية
خطراً يهدد كياناتهم الدينية والسياسي » .

وقرأت في برقية بامضاء الأستاذ عجاج نويهض ما يأتي :

« عرب فلسطين مقاطعون جمعية الشبان المسيحية منذ
الاحتلال ، لسكونها راداً مقنماً الاستعمار وللان لم يقف خطيب
عربي مسلم على منبرها ، فخطبة الأستاذ أحمد أمين تحت رئاستكم ،
جرح لكرامة مليون عربي ؛ فأحرار شباب العرب بأمم الكرامة
القومية برجونكم المدلول » .

ولم أكد أقرأ هذه البرقيات وما يحتويه بريد الصباح ، حتى
جاء وقت القابلات والزيارات ، فاذا في مقدمة الحاضرين وفد
عربي ، يتقدمه حضرة نبيه بك العظمة والأستاذ الصديقي سامي
السراج ، ولما انتظم المجلس ، بدأ الحديث عن المرض الزراعي
الصناعي الذي كانت تقيمه الجمعية الزراعية للملكية في ربيع
سنة ١٩٣٦ ، وعن رغبة أهل فلسطين العرب في زيارته ، لما له

بيدراً صغيراً بين بيادر كبيرة . ووقفت أنظر ومالي بهم من يد
فأدفع الظالم أو أظفر - عنوة - بيمض قبحي وهو جهد السنة
وأمنية القلب .

ونظرت حول فإذا الناس يهزؤون من فرحة أيام الحصاد
ويستمتعون بلذة الخبز ، إلا أنا ... غيا لقصوة الحرمان والحرارة
الضيق ا

ولا هجب - يابني - فإن الانسانية حين نهوى ثفل فتتضع
فتنحط إلى أوضاع مراتب الحيوانية ا

لأمل محمود هيب

يسمده أن يقابلني « فلما سألته أين ينزل حتى أقوم بزيارته أولاً ، لم يشأ أن يملئني بالمكان الذي نزل فيه وإنما أخبرني أنه سيحضر لزيارتي في الساعة الثالثة. ولما حضر في الموعد قال لي « أعذرنى لما سببته لك من متاعب » .

قلت له : « لا محل للاعتذار إذ انني لم أنتب نفسي بشيء بعد » وهنا التفت إلى وقال أنه مستعد لالغاء المحاضرة إذا كان الاستمرار في مواجهة الحالة القائمة قد يسبب متاعب لي .

« لا بأس » . « انما يريدون مني ان أتأنيب الأعداء » . « لقد وضعت في هذا الوقت فملينا أن نقبل به ونسلم » . « أنت تواجه التمتنين بالنطق الذي يتفق مع الموقف » .

وهنا قلت له : « ترى لو دعيت مبشر للخطابة عن المسيحية في مسجد اسلامي ، أتظن أنه يترك هذه الفرصة تفلت من بين يديه ؟ أقول هذا وقد اطلمت على ما نشر عن بعض المبشرين الذين أفتحوا أنفسهم ومن غير دعوة سابقة ، فقدموا لخطابة وسط الجماهير الاسلامية عند انتهائهم من صلاة الجمعة ، فكانوا في موقفهم هذا دعاة يدعون إلى دينهم بطريقة لا يستسيها العقل . ومع ذلك فنحن مدعوون ، فكيف نعتذر عن انتهاز فرصة مثل هذه ؟ أما من ناحيتي فقد عزميت على تقديمك بكلمة وسألتها على كل حال » . فالتفت ألى وقال « نعم ليس من الرجولة في شيء أنت نعتذر الآن » قلت « انني ان أرددت من تقديمك ولكني أن أعلمك بأن تقديمي سيأتي في كلمة أطول من المعتاد . حتى أرد على هذه الحملة القائمة والتي اعتبرها هامة جداً في نظري بحيث إذا لم أوفق في الرد عليها فلن أستطيع أن أقوم بأي عمل انشائي في هذا الحقل العربي هنا » .

واقترعنا بعد أن أعلمني أنه سيلقي كلمة في نادي مدرسة روضة المعارف الاسلامية (لا جمعية المقاصد الاسلامية كما ذكرها عزته في الصفحة ٢٤٧ من كتاب « حياني » فان جمعية المقاصد الاسلامية هي في بيروت وليست بالقدس) وستقدمه هناك لجمهور الستمين المسلمين حضرة الأستاذ حمدن أبو رحاب .

وجاء موعد المحاضرة في دار جمعية الشبان المسيحية ، وهي دار فخمة متيقة الأرجاء - أرجو أن يكون للمركز العام للشبان المسلمين مثل هذه المار في مدينة القاهرة - وقد خصص لاقاء

من أهمية خاصة في توطيد علاقتهم مع مصر المتفتحة الكبرى ، ثم انتقل الحديث وكألا صلة بين الموضوعين إلى المحاضرة ، التي أزمع الأستاذ أحمد أمين بك على قائمها بجمعية الشبان المسيحية ، فكان من رأى الوفد المبادرة إلى الاعتذار عنها . أما أنا فقد أكدت للوفد أنني سأمكن أكبر عدد من أهل فلسطين من زيارة الموضع المصري ، والتعرف إلى احوالهم المصريين . أما فيما يخص الاعتذار عن القاء لمحاضرة ، فقد أتيت لهم بوضوح أنني « وصفت كلمة لتقديمك في مصر » . « انني قد استجيت مع حضرتي لبيتنا وسأقوم ، ما أمكنها على كل حال سواء حضر المحاضر أم اعتذر عن القاء محاضرتي ، وكان مما قلته لحضراتهم وهم يذكرون ذلك جيداً » من أين تأتون لي بفرصة أخرى تتسكلم عن الاسلام في قاعة جمعية مسيحية ؟ أوجدوا لي هذه الفرصة في مكان الجمعية كما تقولون أو أي مكان آخر ينطبق وصفها عليه من ناحية التبشير والاستثمار كما تقولون ، وأنا مستعد للاراجع وجعل اللقاء في هذا المكان الذي تختارونه . انني لا أنظر إلى المسألة من هذه الوجهة بالذات وإنما أقول ان فلسطين في حاجة ماسة إلى جمع كل القوى التي يمكن أن تلتئم مع عمل القائمين بنهضة العرب وكما جهم . ولا أشعر بأن هذه الجمعية ضدنا بل هي أمام تيار الصهيونية الجارفة من مصاحبتنا أن تقف في صف العرب ، ومن مصاحبتنا أيضاً أن يحملها في صفنا ؛ وان لم تقف معنا الآن فسيجرها التيار حتماً ويقطع جذورها معنا » .

وفي صباح يوم ٢٢ يناير قابلت المستر فرنس وكان يشغل وظيفة مدير الطبوعات للحكومة فلسطين - القيت به في ردهة فندق الملك داود فاخبرني بأنه أطلع على جرائد الصباح المصرية وقال « انها قد خصصت جزءاً كبيراً من أعمدها للاحتجاج عليك وعلى الأستاذ أحمد أمين بك ، فإذا سيكون موقفك أمام هذه الحركة ؟ » . قلت « انني قد أعددت كلمة لتقديم الأستاذ وسأحضر لاقائها في الموعد المحدد كما اتفقنا ، والآن لا أعلم عن مجيء الأستاذ شيئاً » .

ولما ذهبت إلى دار القنصلية المصرية وجلست لعملي أعطيت لي مكالمة تليفونية مع حضرة الأستاذ أحمد أمين بك وكنت لم أعترف بمعرفته بعد ، فقال لي « أنه حضر إلى القدس وهو

من نتائج » .

« ومن أحق من أهله أن يحدث الناس منه ؟ وأن يظهروا بحاسنه ؟ وأن يزيلوا ما علق خطأ بأذهان الناس عنه ؟ نتيجة دعاية الأقران عليه والتسليم بدم انصافه .

لهذا كله لبث هذه الدعوة ، وكان أممي ثلاثة دوافع لوجاه واحد منها على انفراد السكان وحده كايما للتشجيع إلى اجابتها من غير تردد أو توقف :

اولها - واجب الرجل المؤمن الذي لا يخشى إلا الله في عمله وتصرفاته .

ثانيها - مكانة الأستاذ المحاضر ومقامه العلمي وثقتنا فيه .

ثالثها - ما أظهرته الجمعية بدعوتها لنا من التقدير للاسلام كدين من الأديان الكبرى ، فضربت لنا كما قلت مثلاً لحرية الفكر وأظهرت نية طيبة ، ان أوسعت لنا صدرها لانصاف الاسلام في دارها فيجب علينا أن نقابل هذه النية وأن نليها « وأظن اننى قد عرضت بهذه المقدمة إلى أهم ما يدور بخلد كل فرد مسلم منصف ، وهنا رأيت ألا أتأخر بعد حديثي عن الاسلام أن أشير إلى تأكيد الملاقة القائمة بين مصر والأقطار العربية وفلسطين بصفة خاصة فأوضحت ما يجوز بخاطري بالكلمة الآتية :

لست بحاجة إلى تقديم الأستاذ إليكم ، فهو رجل معروف بعلمه وثقافته في الأقطار العربية ؛ إذ هو من طليعة المجاهدين في خدمة الأدب العربي وبمته . ولقد سبقته شهرة إلى هذه البلاد ككاتب ومؤلف وأستاذ فهو ليس إذن بحاجة إلى التعريف والتقديم «

« بل أقول أكثر من هذا : اننى لا أشك لحظة واحدة بأن هذا الجلم كثيرين واستطاعهم أن يحدثونا عن علم الأستاذ وأثره ومؤلفاته بأسلوب وبيان أعجز عنهما .

« ومع هذا فأن نظرت إلى هذا الحفل فإذا هو مكون من خيرة أفاضل الناس في قطر عربي عزيز على قلب كل مصري ، لأن أهله باختلاف نزعاتهم وأديانهم تربطهم بنار الله لا انقسام لها ولكن أعلاها وأتامها مع الزمن وحدة اللغة والتفكير والثقافة . لهذا شعرت بأننى لن أكون قريباً هنا . بل اننى سأجد بينكم ما يشجئنى على إلقاء هذه الكلمة وأنا واثق من أن شعوركم

المحاضرة البناء الذي يشغله المسرح ، فامتلات مقاعده بالمحاضرين وتقدمت بإلقاء كلمة لا أجد فضاضة في نفسى من نشر بعض مقتطفات منها . وقد حدث فلما أن الجرائد العربية التي وجهت اللوم اليها نشرت في اعدادها الصادرة في يوم الجمعة ٢٤ يناير وفي مقدمتها جريدة اللواء وجريدة الدفاع كلمة التقديم وأشارت اليها وإلى أهميتها كما نشرت بقية الجرائد العربية مقتطفات من هذه الكلمة . ومن تلك اللحظة شعرت بان صلاتى مع الجرائد العربية في فلسطين قد دخلت عهداً جديداً من الثقة والتفاهم والتعاون . وأحاطنى الكثير من أهل الرأى بتشجيعهم وعطفهم . وانى أقل للقارى بعض ما جاء في مقدمة هذه الكلمة لأنها من أثنى ما اعتز به في حياتى :

قلت : لقد جاء الاسلام بدعوة عالمية ، نشرت بين الناس ديناً وتعاليم وأفكاراً ، جاء بدعوة نفخت فيهم روحاً جديدة ، جعلتهم يلتصقون صلاح آخرتهم بصلاح دنياهم ، حينما أخذوا يتطلعون إلى حياة أرقى بما كانوا فيها ، حياة يطمعن إليها العقل ويرتاح اليها الإيمان . ولم يمض غير سنوات قليلة على أتباع هذه الدعوة وأنصارها ، حتى أصبحوا قوة هائلة أخذت تفرض نفسها على جزء كبير من العالم المروف وتفتد .

فأثرت في حركته وسيره وتطوره ، وبرزت قوة الاسلام في تاريخ الانسانية واضحة ظاهرة لا يمكن اخفاؤها أو التقليل من شأنها .

ومنذ ذلك التاريخ لفتت هذه الدعوة الانظار ، وأخذ الباحثون يتقنون عن منشأ هذه الحركة ، ويتعرفون أسباب نجاحها وانتشارها ومدى أثرها وسر بقائها إلى اليوم .

« والاسلام ككل حركة عالمية ، أنقسم الناس في الحكم عليه إلى فريقين : فريق يشمل أسدقائه وأتباعه وأنصاره ومن أراد انصافه من غير أهله . والفريق الآخر يجمع الخصوم ولأعداء أو الذين لم يجدوا في انفسهم ، ما يندفعهم إلى التعرف على بحاسنه أو الاقرار برأته « .

« فمن أولى البدييات أن نعمل على أن يتعرف غير المسلمين حقيقة هذه الدعوة وصراميتها وأهدافها وما أحدثته هذه الرسالة

وخرج للعالم بشخصيته واستقلاله الفكري للعمل مرة أخرى كقوة عظيمة ترحف على العالم وتؤثر في حركته وتاريخه وسيره وتطوره .

« وما نحن اليوم نماني نفس ما عاناها أسلافنا ، فهل لنا أن ننظر إلى ماضينا ، وإلى تلتى دروسه لتتخذ من ذلك دعامة للمستقبل ولنتعرف القوي الكامنة فينا ليكتب لها الانطلاق والخلود؟ »
« على أى أساس اخترنا أنفسنا سواء كان ذلك في نطاق القومية أم العالم . فاننا في حاجة إلى بحث جديد وقوة معنوية تحركنا للعمل للوصول إلى حياة أعلى وأكمل وأعظم شأننا من ظروف الحياة التي نعيشها في الوقت الحاضر . »

« اننا إذا أكتشفنا هذه القوى الكامنة فينا وعملنا على تركيزها وتنظيمها نكون جديرين بحمل الأمانة التي حملها الشرق من قبل ونسلم رسالته الخالدة ، ويصبح الشرق جزءاً هاماً وإعياً مكملاً للإنسانية المتفتحة التي تقظة العاملة في بناء صرح مستقبل هذا العالم . »

هذه بعض فقرات من حديث تلك الليلة وهو حديث - كما قلت - بفضل رجال الفكر في فلسطين بالترحيب به ، ونشرته أغلب الجرائد وأشارت إليه . ولقد كنت أود أن يشير حضرة صاحب العزة الأستاذ أحمد أمين بك إلى اشتراك القنصلية الملكية المصرية العامة في القدس معه في هذا الموقف الذي قال عنه « أنه كان عجيباً حقاً مريباً حقاً » . فقد قرأت كتابه المنون بدم « حيان » ولقت نظري صديق عزيز على هو الأستاذ محمد عبد الغنى حسن إلى حادث القدس وكيف أفرد له الأستاذ ثلاث صفحات من كتابه فلم يذكر كلمة واحدة عن الذين شاركوه في هذا الموقف الذي كان فيه من المناء الشيء الكثير على حسب تعبيره . ولذا رأيت من واجبي أن أنشر هذه الصفحة الطوية ولا أجد ما أقوله سوى اننى وفيرى ممن أتى عليهم واجب تمثيل مصر في تلك الفترة لقوا في أثناء قيامهم بواجباتهم الكثير من هذه المواقف : أذكر واحداً منها حينما أقت حفلة للاستاذ اسد رستم بمناسبة اخراجه أول مجلد من كتاب « وثائق الشام » وكيف حملت بعض الجرائد على حملة مثل هذه فكان للقنصلية الملكية المصرية العامة ببيروت موقفاً يشبه موقف في القدس .

أحمد رمزي

مراتب عام مصلحة التصريح التجارى
والملكية المتناعية

مى وانه سيشفع لديكم إذا اختصرت في ناحية أو تلتئم لسانى أمامكم مرة ومرتين . فالأستاذ أحمد أمين لا أقدمه كأستاذ مصري فأعده ملكاً للسكناة وحدها ، بل أقدمه إليكم كأديب عربى أدبه وعلمه من حق الناطقين بالمربية كافة . وأقول لكم إن ما أحرزه من نجاح وتوفيق نمدته نحن مفاشر المصريين بجما وتوفيقاً للأدب العربى ونصراً للثقافة التي تجتمعنا بكم وللفكر العربى الذى نشترك فيه وننتحدر منه ونتمتر به ، وفي هذا أيها السادة ما يثبت أقدامى أمامكم ويجعلنى مطمئناً من أن الأستاذ الحاضر سياتى من ترحيبكم ومودتكم في القدس ما سبق أن أحيط به من ترحيب ومودة في كل قاعة أتى محاضرة فيها .

ولقد كان يوسى أن أقف عند هذه الخاتمة لولا اننى أردت أن أشير إلى مكانة فلسطين وما كنت أنتظره لها من مستقبل وما كانت تحيط بنا من غيوم متلبدة وقتئذ ، فأردت أن أتحدث عما يجول بأفئتنا من رغبة في دفع موجة التشاؤم التي كانت سائدة وقت ما بأتى :

« في هذه البلاد المضيافة ، وعلى أرضها المقدسة للأديان المنزلة جميعاً : هنا حيث استسلم الشرق هداية العالم يوماً ما حينما ظهرت إلى العالم تعاليم معلم الناصرة عيسى بن مريم منذ أقي عام ؛ هنا حيث ينظر أتباع الديانات الكبرى إلى قدسية هذا المكان ، هنا يحدثنا الأستاذ ببحرية تامة عن الاسلام وأثره في وقت كثر فيه عدد التشايعين الذين يشكون في عظمة هذا الشرق ومستقبله - أولئك الذين لم يلدوا إلا آتار الجود والتسليم ومظاهر الضعف والفقر البادية في كل مكان فكأنهم لم يروا إلا ظلمات بعضها فوق بعض . »

« اننا نقول لهم كذلك كانت السنوات والمصور التي سبقت دعوة الاسلام كانت ليالها ظلماء لا أثر لنور الأمل فيها ، وكانت عوامل الفناء والتفكك تعمل في كل مكان ، حتى لقد كان يجيل إلى من عاشوا في القرن السادس الميلادى أن الشعوب الشرقية التي ورثت مدنات مصر وقرطاجنة وآشور وبابل وفينيقيا ، قد شاخت وهربت وفقدت شخصيتها وميزاتها وقوتها الدافسة فأصبحت فريسة مدنات أقوى منها من صنع روما وبيزنطة ، ولكن هذه الشعوب نفسها التي غلبت على أمرها تراها وقد استعجالت مرة واحدة نماً كناية فكأنها نبتت بعتاً ونشرت نثراً . والفضل في نهضتها لتعاليم الاسلام حين تحرر الشرق من جيوت روما